

الأمثال في القرآن الكريم

(78) فاستشهاد صاحب المنار على كون المراد هو ظلمة القبر و البرزخ بقوله سبحانه:

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
نَقْتَدِسُ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا...) (1) ليس
بأمر صحيح، والآية ناظرة إلى حياتهم الدنيوية التي يكتنفها الايمان والنور، ثم تحيط
بهم الظلمة والضلالة، ولا نظر للآية لما بعد الموت. سवाल وإجابة إن مقتضى البلاغة هو
الاتيان بصيغة الجمع حفظاً للتطابق بين المشبه والمشبه به، مع أنه سبحانه أفرد
المشبه به (كالذي استوقد ناراً) وجمع المشبه أعني قوله: (مثلهم) (ذهب ابن بنورهم)،
فما هو الوجه؟ أجب عنه صاحب المنار بقوله: إن العرب تستعمل لفظ "الذي" في الجمع
كلفظي "ما" و "من" ومنه قوله تعالى: (وَخُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) (2) وإن شاع في
"الذي" الافراد، لأن له جمعاً، وقد روعي في قوله (استوقد) لفظه، وفي قوله (ذهب ابن
بنورهم) معناه. والفصح فيه مراعاة التلطف أو لا، ومراعاة المعنى آخراً، والتفنن في
إرجاع الضمائر ضرب من استعمال البلغاء. (3) ولنا مع هذا الكلام وقفة، وهي أن ما ذكره
مبني على أن قوله سبحانه: (ذَهَبَ ابن بنورهم) وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) في
تتمة المثل، وأجزاء المشبه به، ولكنك قد عرفت خلافه، وإن المثل تم في قوله: (فلمّا
أضاءت ما _____ 1 - الحديد:13. 2 - التوبة:69. 3 - تفسير المنار:1|169.